العلاقة بين الإيمان والسلوك الأخلاقي في اليهودية والمسيحية والإسلام

The Relationship between Faith and Moral Behavior in Judaism, Christianity, and Islam: A Comparative Study

RKUD 7304 – Major Themes of Revealed Religions: Judaism, Christianity and Islam

Prepared by:

Aljudiey Yahya Mohsen Ahmed Hasan

MTRC(G2327395)

Supervised by:

PROF. DR. THAMEEM USHAMA

Department of Usul al-Din and Comparative Religion
AbdulHamid AbuSulayman Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences

International Islamic University Malaysia (IIUM)

Semester 1, 2025–2026

Abstract

This comparative study examines the intrinsic relationship between faith and moral behavior in Judaism, Christianity, and Islam. It addresses the central theological question of whether ethical conduct is a prerequisite for, a consequence of, or a constituent element of faith. Through an analysis of foundational texts and theological frameworks, the research reveals distinct paradigms within each tradition.

The findings indicate that Judaism emphasizes adherence to the Law (*Halakhah*) as the practical manifestation of the Covenant and a condition for community belonging. Christianity predominantly views moral works as the necessary "fruit" and evidence of salvation by grace, rather than its cause. Islam presents a holistic model where faith (*Iman*) is defined as a composite of conviction, speech, and action, making moral behavior an integral part of faith's essence. The study concludes that despite these theological divergences, all three religions converge on the principle that inner belief cannot be separated from outer conduct, affirming that authentic faith must be validated by ethical behavior.

Keywords: Faith, Moral Behavior, Judaism, Christianity, Islam, Comparative Ethics.

جدول المحتويات

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي..... 5
المبحث الثاني: الإيمان والسلوك الأخلاقي في اليهودية..... 10
المبحث الثالث: الإيمان والسلوك الأخلاقي في المسيحية..... 13
المبحث الرابع: الإيمان والسلوك الأخلاقي في الإسلام..... 15
المبحث الخامس: الدراسة المقارنة والتقييم النقدي..... 19
الخاتمة..... 24
قائمة المصادر والمراجع..... 26

المقدمة

لطالما شكّل الدين الركيزة الأساسية في بناء الحضارات الإنسانية، والمصدر الأول للقيم التي تضبط حركة الفرد وتحدد معالم الفضيلة في المجتمعات البشرية عبر التاريخ. فالظاهرة الدينية في جوهرها ليست مجرد قناعات عقلية معزولة، بل هي قوة دافعة تسعى لصياغة الحياة وفق مراد إلهي، مما يجعل التداخل بين "المقدس" و"السلوكي" سمة بارزة في التجربة الإنسانية.

وفي سياق الديانات السماوية (الوحي)، تكتسب هذه العلاقة بعداً أكثر عمقاً وتحديداً؛ إذ لا يُكتفى فيها بالإيمان بوجود إله خالق فحسب، بل يتطلب ذلك الإيمان استجابةً عملية تتمثل في الامتثال للأوامر واجتناب النواهي. وهنا تبرز جدلية التفاعل بين "العقيدة" التي تستقر في الضمير، و"الشريعة والأخلاق" التي تظهر على الجوارح، حيث يمثل الأولُ الباعثَ، ويمثل الثاني الثمرةَ والبرهان.

إلا أن طبيعة هذا الرابط بين "ما وقر في القلب" و"ما صدّقه العمل" تباينت تكييفاتها اللاهوتية والفقهية بين الرسالات السماوية، مما أثار تساؤلات جوهرية حول الأولوية والتراتب: هل الأخلاق شرطٌ لصحة الإيمان؟ أم هي مجرد نتيجة له؟ أم هما وجهان لعملة واحدة؟ ومن هذه المنطلق، تأتي هذه الدراسة لتفكيك هذه الإشكالية المقارنة تحت عنوان : **"العلاقة بين الإيمان والسلوك الأخلاقي في اليهودية والمسيحية والإسلام."**

أولاً: أهمية البحث

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من الاعتبارات التالية:

1. **الأهمية النظرية** :يقع الموضوع عند تقاطع حقلين معرفيين هامين هما "علم اللاهوت/العقيدة" و"فلسفة الأخلاق"، مما يسهم في فهم البنية العميقة للأديان.
2. **الأهمية التفسيرية** :يساعد تحديد طبيعة العلاقة (شرطية أم سببية أم تكاملية) في تفسير النصوص المقدسة وفهم توجيهاتها بشكل أدق.
3. **الأهمية الواقعية** :يساهم البحث في تحليل السلوك الديني المعاصر، وفهم دوافع المتدينين، ومعالجة ظواهر الانفصام بين التدين والأخلاق (النفاق الديني).

ثانياً: إشكالية البحث وتساؤلاته

تتمثل **الإشكالية المركزية** للبحث في التساؤل التالي:

هل يُنظر إلى السلوك الأخلاقي في اليهودية والمسيحية والإسلام بوصفه ***شرطًا مسبقًا*** *لصحة الإيمان، أم* ***ثمرةً ونتيجةً*** *حتمية له، أم* ***جزءاً ماهوياً*** *لا يتجزأ منه؟*

ويتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة الفرعية الآتية:

1. كيف أثرت مركزية "الشريعة" والعهد في اليهودية على ارتباط الإيمان بالعمل؟
2. كيف عالج اللاهوت المسيحي جدلية "الإيمان والأعمال" في ضوء عقيدة الخلاص بالنعمة؟
3. ما موقع الأخلاق في تعريف "الإيمان" في الإسلام، وكيف توازن بين الباطن (النية) والظاهر (العمل)؟
4. ما هي نقاط الالتقاء والاختلاف الجوهرية بين النماذج الثلاثة في هذا الصدد؟

ثالثاً: أهداف البحث

تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

1. **تحليل** المرتكزات النصية واللاهوتية التي تحكم علاقة الإيمان بالأخلاق في كل ديانة على حدة.
2. **مقارنة** النماذج الثلاثة لرصد المشتركات الإنسانية والدينية، وتحديد الفروق النابعة من خصوصية كل عقيدة.
3. **تقييم** أثر هذه التصورات على بناء الفرد والمجتمع، وتقديم إجابة نقدية حول إمكانية الفصل بين الإيمان والسلوك.

رابعاً: منهجية البحث

تعتمد الدراسة على المنهج المركب الآتي:

- **المنهج التحليلي** :لتفكيك النصوص والمفاهيم في كل ديانة.
- **المنهج المقارن** :لإجراء الموازنة بين الأديان الثلاثة.

خامساً: هيكلة البحث (خطة الدراسة)

لتحقيق الأهداف السابقة، تم تقسيم البحث إلى خمسة مباحث رئيسة، وفق الترتيب التالي:

1-المبحث الأول: الإطار المفاهيمي

- تحديد مفهوم "الإيمان" في السياقات الثلاثة.
- تعريف السلوك الأخلاقي دينياً.
- تحرير إشكالية الفصل بين البُعد الداخلي والخارجي للدين.

2-المبحث الثاني: الإيمان والسلوك الأخلاقي في اليهودية

- مركزية الشريعة (الهالاخاه) وعلاقتها بالعهد.
- العمل كمعيار للانتماء والهوية الدينية.

- إشكالات التقيد الحرفي وموقع "أبرار الأمم."

3-المبحث الثالث: الإيمان والسلوك الأخلاقي في المسيحية

- مفهوم الخلاص بالإيمان والنعمة.
- مركزية "المحبة" كأساس للأخلاق المسيحية.
- مناقشة التوتر بين الإيمان والأعمال (بولس ويعقوب).

4-المبحث الرابع: الإيمان والسلوك الأخلاقي في الإسلام

- تعريف الإيمان كقول وعمل (التكامل بين العقيدة والشريعة).
- الأخلاق كجزء لا يتجزأ من شعب الإيمان.
- التوازن الدقيق بين "النية" (الإخلاص) و"العمل الصالح."

5-المبحث الخامس: الدراسة المقارنة والتقييم النقدي

- رصد نقاط الالتقاء (القيم المشتركة، رفض النفاق).
- تحليل نقاط الاختلاف (طبيعة الرابط: شرط، نتيجة، جزء).
- تقييم النماذج الثلاثة ومزايا كل نموذج.

الخاتمة :تتضمن أهم النتائج المستخلصة والإجابة النهائية عن الإشكالية، مع تقديم توصيات وآفاق للبحث المستقبلي.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي

مفهوم الإيمان

الإيمان مفهوم محوري في الديانات السماوية جميعًا، وإن كان يتخذ دلالات خاصة في كل منها. عمومًا يُفهم الإيمان بوصفه التصديق القلبي والاعتقاد الجازم بحقيقة غيبية عليا (الله وتعاليمه)، مع ما يصاحب ذلك من ثقة والتزام.

في **اليهودية**، يُعبَّر عن الإيمان بمصطلح إيمونا (אמונה) في العبرية الذي يحمل معنى الثقة والإخلاص، لكن يجدر بالذكر أن الفكر اليهودي التقليدي لم يشدد تاريخيًا على صياغة عقائد إيمانية محددة بقدر ما شدد على ممارسة الفرائض. فاليهودية ديانة تتميز بغياب عقيدة إيمانية إلزامية موحَّدة مقابل تركيزها على الهوية الجماعية والميثاق الإلهي مع بني إسرائيل. وقد أشار بعض الباحثين إلى أنه "لا يمكن نسبة اليهودية إلى عقيدة إيمان ثابتة بالمعنى الموجود في المسيحية أو الإسلام[1]" ؛ إذ الانتماء الديني في اليهودية تقليديًا يقوم على الولادة في جماعة إسرائيل وعملًا بالشريعة، أكثر مما يقوم على التصريح بمواد عقائدية محددة. ولم تظهر محاولات لصياغة عقائد إيمانية (مثل مبادئ موسى بن ميمون الثلاثة عشر) إلا في فترات متأخرة نسبيًا، بل ولم تحظَ بإجماع أو سلطة كنسية ملزمة كما في المسيحية.

في **المسيحية**، كلمة إيمان pistis) في اليونانية في نصوص العهد الجديد (ترتبط بمعنى الثقة القلبية والاتكال على نعمة الله من خلال الإيمان بيسوع المسيح. يعد الإيمان جوهر العقيدة المسيحية إلى حد أن الخلاص نفسه منوط بالإيمان بحسب اللاهوت البولسي (نسبة إلى الرسول بولس). يؤكد بولس الرسول في رسائله أن التبرير أمام الله هو بالإيمان وليس بأعمال الناموس (الشريعة اليهودية)[2] ، وقد شكّل هذا المفهوم حجر الزاوية في العقيدة المسيحية خاصة كما تطورت في سياق الإصلاح البروتستانتي (شعار سولا فيدي أي "الإيمان وحده"). ومع ذلك، يتضمن الإيمان المسيحي الأصيل عند كثير من اللاهوتيين بعد الإصلاح الاستجابة العملية المتمثلة في المحبة والأعمال الصالحة كنتيجة حتمية. هذا ما أكد عليه مثلًا مجمع ترنت الكاثوليكي (1547م) ضد مبدأ الإيمان المجرد، ثم في عصرنا الحديث جاءت الإعلان المشترك للكاثوليك واللوثريين حول عقيدة التبرير (1999) ليقرر أن الأعمال الصالحة هي "ثمرة حقيقية للنعمة والإيمان، وليست سببًا لها"، وبذلك تم تجاوز التناقض الظاهري بين الإيمان والأعمال عبر فهم الأعمال كتعبير حي عن الإيمان. عليه فالمفهوم المسيحي للإيمان يتضمن عنصر الثقة الداخلية بفضل المسيح، ممتزجًا بتجديد روحي يثمر أخلاق المحبة.

أما في **الإسلام**، فالإيمان (īmān) بالعربيةيجمع بين التصديق القلبي والإقرار اللساني والعمل بالجوارح وفق التعاليم الإسلامية. عرَّفه علماء العقيدة السنة بأنه "قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجَنان"[3] — أي أنه يشمل النطق

---

[1] Jacob Neusner, *The Way of Torah: An Introduction to Judaism*, 7th ed. (Belmont, CA: Wadsworth, 2003), 45.

[2] **الكتاب المقدس**، العهد الجديد، رسالة رومية 3: 28.

[3] أبو جعفر الطحاوي، **متن العقيدة الطحاوية**، تحقيق عبد الله التركي (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ)، 53.

بالشهادة، والعمل بأحكام الدين، واعتقاد القلب اعتقادًا جازمًا. وعلى خلاف بعض التصورات في أديان أخرى، يذهب جمهور فقهاء وعلماء الإسلام إلى أن الإيمان يزيد وينقص تبعًا لعمل الإنسان الصالح أو اقترافه للمعصية. فمن يزيد في أعمال الطاعة يزيد إيمانه، وبالعكس تنقص درجة إيمانه بالذنوب. لذلك يشدد التراث الإسلامي على وحدة الإيمان والعمل: ليس الإيمان مجرد اعتقاد داخلي منفصل عن السلوك، بل هو منظومة متكاملة من المعتقد والعمل والنية. وتاريخيًا ناقش علماء الإسلام علاقة الإيمان بالعمل في مواجهة تيارات متباينة؛ فذهبت الخوارج مثلًا إلى تكفير مرتكب الكبيرة (باعتبار العمل جزءًا من الإيمان لدرجة أن فقده ينسف الإيمان)، بينما جنحت المرجئة إلى إرجاء الحكم وقالوا لا يضر مع الإيمان ذنب (مبالغة في فصل العمل عن الإيمان)، في حين تبنّى أهل السنة والجماعة الموقف الوسطي القائل بأن العمل جزء من الإيمان على نحو تكاملي: يزيده أو ينقصه دون أن يخرج العاصي من الملة ما دام معتقدًا بالله. ويمكن القول إن مفهوم الإيمان في الإسلام ذو طبيعة شمولية تجمع العقيدة والشريعة والأخلاق معًا في وحدة واحدة، بحيث يصعب تصور إيمان صحيح دون تجلٍ عملي في السلوك. وقد أورد الحديث النبوي الشريف هذا المعنى في صيغة بليغة: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[4] . وهذا الحديث يربط بوضوح بين المعتقد القلبي (كلمة التوحيد) وبين السلوك الأخلاقي العملي (إماطة الأذى) في منظومة الإيمان.

مفهوم السلوك الأخلاقي

يقصد بالسلوك الأخلاقي في سياق هذا البحث التصرفات والأعمال الاختيارية التي يقوم بها الفرد تعبيرًا عن منظومة قيمية تميز بين الخير والشر أو الحسن والقبيح. يرتبط السلوك الأخلاقي بمفاهيم الواجب والفضيلة والضمير ضمن إطار ديني أو فلسفي. في الديانات السماوية عمومًا، الأخلاق ليست مجرد أعراف اجتماعية وإنما تستمد سلطتها من أوامر ونواهي إلهية تكشف عنها النصوص المقدسة. ففي اليهودية مثلًا، تتجسد الأخلاق في تطبيق الوصايا (mitzvot) التي تشمل وصايا أخلاقية (مثل النهي عن السرقة والقتل) إلى جانب الفرائض الطقسية؛ أي أن القانون الديني (هالاخاه) يغطي جوانب السلوك كافة ويعد تجسيدًا للإرادة الإلهية. أما في المسيحية، فتتأسس الأخلاق على المحبة كفضيلة مركزية أوصى بها المسيح، وعلى مبادئ كالرحمة والتواضع والغفران، مع استمرار الاعتراف بالوصايا العشر بوصفها قاعدة أخلاقية إلهية. وفي الإسلام، السلوك الأخلاقي جزء لا يتجزأ من الشريعة الإلهية؛ فالنص القرآني والسنة النبوية يضعان قواعد تفصيلية للسلوك (كالأمانة والصدق وبر الوالدين) بالإضافة إلى مقاصد كلية تهدف إلى تحقيق العدل والإحسان ورحمة الخلق. ويتميز التصور الإسلامي بأن الأخلاق متداخلة مع العبادات والمعاملات ضمن مفهوم أوسع للدين (يشمل العقيدة والشريعة والأخلاق جميعًا). ومن منظور فلسفة الأخلاق الدينية، يمكن القول إن الأخلاق في الأديان السماوية تكتسب موضوعيتها وإلزامها من الإيمان بوجود سلطة متعالية (الله) تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. ولهذا فإن الامتثال الخلقي يُعد استجابة الإنسان لإرادة إلهية، مما يضفي على السلوك بعدًا تعبديًا في حد ذاته.

[4] محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري** (الرياض: دار السلام، 1999)، كتاب الإيمان، حديث رقم 9.

إشكالية الفصل بين الداخل الإيماني والسلوك الظاهري

أحد التحديات المفاهيمية في دراسة الدين والأخلاق هو التمييز بين البُعد الداخلي (الإيمان أو التقوى القلبية) والبُعد الخارجي (العمل والسلوك الظاهر). يثار السؤال: هل يمكن أن يوجد إيمان صادق بدون أعمال أخلاقية تدل عليه؟ وبالعكس، هل تنفع الأعمال الصالحة إن صدرت عن شخص بلا عقيدة إيمانية صحيحة في المنظور الديني؟ هذه الإشكالية حضرت في نقاشات كل الديانات محل البحث، واتخذت صورًا مختلفة.

في **اليهودية**، يظهر التساؤل في سياق نقد الأنبياء الشكليةَ الدينية الفارغة من جوهر الأخلاق. أنبياء بني إسرائيل في العهد القديم شددوا مرارًا على أن الطقوس بلا عدالة ورحمة لا قيمة لها في نظر الله. على سبيل المثال يعلن النبي إشعياء أن الله يمقت الأضاحي والصلوات التي يرفعها شعب ظالم، قائلًا: «كُفُّوا عن تقديم المزيد من التقدمات الباطلة... تعلَّموا فعل الخير، اطلبوا الحق، أنصفوا المظلوم»[5]، مما يدل على أن السلوك الأخلاقي هو البرهان العملي على ولاء المؤمن لله، وأن الإيمان المزعوم بدون استقامة أخلاقية هو إيمان زائف. في الفكر اليهودي اللاحق، عبّر الحاخامان Hillelوشمعي وغيرهما عن أهمية النية القلبية أيضًا، لكن الإطار العام بقى أن الالتزام بالشريعة (الناموس) هو المعيار الظاهر للتقوى. لذا واجهت اليهودية إشكالات مثل: هل يكفي الانتساب القومي والديني دون صلاح السيرة؟ النصوص الحاخامية تشير إلى أن الشرير (רשה راشا) من بني إسرائيل برغم كونه ضمن شعب العهد، فإنه بخطاياه يخرق ميثاق الإيمان ويعرّض نفسه لعقاب الله. ومن جهة أخرى، طُرحت مسألة غير اليهود: وفق التلمود، «الأمم الصالحة من غير اليهود لهم نصيب في العالم الآتي»[6] إذا التزموا بما يسمى شرائع نوح السبع (وهي مجموعة أوامر أخلاقية أساسية). هذا يدل على ميل اليهودية إلى اعتبار الأخلاق الكونية الأساسية جزءًا من متطلبات رضا الله حتى لغير المنتمين للدين؛ أي أن العمل الصالح له اعتبار مستقل إلى حد ما، مما يعكس أن جوهر الإيمان بالله الواحد ينبغي أن يظهر في أخلاق الإنسان أيًا كان. لكن مع ذلك يبقى للأعمال وفق الشريعة الموسوية المكانة الأسمى ضمن الإطار اليهودي الخاص. وهكذا يتضح أن الفصل النظري بين الداخل والظاهر في اليهودية أقل حدة، لأن الالتزام العملي بالشريعة يُنظر إليه كعلامة الهوية الإيمانية نفسها. وإذا وُجد أي فصل (كما في حالة التركيز المفرط على الشكليات دون الجوهر الأخلاقي) فإنه يعد خللًا ينبغي إصلاحه وفق النقد النبوي والأخلاقي الداخلي في التراث اليهودي.

في **المسيحية**، اتخذت إشكالية الإيمان والأعمال طابعًا عقائديًا حادًا خصوصًا في زمن الإصلاح البروتستانتي. فبينما تؤكد العقيدة المسيحية أن الخلاص هبة إلهية مجانية بالنعمة خلال إيمان المؤمن بالمسيح (أفسس 2:8–9)، واجهت الكنيسة مشكلة من يستغل هذا المفهوم للتهاون في الأعمال الصالحة. جاء في رسالة يعقوب في العهد الجديد تصريحٌ

---

[5] **الكتاب المقدس**، العهد القديم، سفر إشعياء 1: 13–17.

[6] *Babylonian Talmud*, Sanhedrin 56a; see also Maimonides, *Mishneh Torah*, Hilchot Melachim 8:11.

شديد الوضوح: «الإيمان بدون أعمال ميت في ذاته»[7] ، و«يُبرر الإنسان بالأعمال لا بالإيمان وحده»[8]، في ظاهر تعارض مع قول بولس «بالإيمان يتبرر الإنسان لا بأعمال الناموس»[9]. هذا التوتر أفضى تاريخيًا إلى قراءات مختلفة: البروتستانت (اقتداءً بلثر وغيره) شددوا على أن الأعمال الصالحة تلي الإيمان الحقيقي كتعبير عنه، لكنها ليست ما يبرر الإنسان أمام الله. أما الكاثوليك والأرثوذكس فرأوا الإيمان عاملًا لا ينفصل عن المحبة المرجوة التي تتجلى بالأعمال؛ فالأعمال عندهم تُكمل الإيمان وتجعله حيًا (وتحدثوا عن "الإيمان العامل بالمحبة"). لقد ناقش علماء اللاهوت كثيرًا كيفية التوفيق: البعض رأى يعقوب وبولس متناغمين إذا فُهم أن بولس قصد أعمال الناموس اليهودي تحديدًا لا أعمال المحبة عمومًا، بينما شدد آخرون على أن التبرير الابتدائي هو بالإيمان ولكن الحفاظ على حالة النعمة يستلزم تعاون المؤمن (بالأعمال الصالحة) مع النعمة. على كل حال، تبلورت في المسيحية رؤية مفادها أن الإيمان الصادق يُنتِج بالضرورة ثمارًا أخلاقية؛ ومن يدّعي الإيمان بالمسيح وهو لا يمارس المحبة والبر فهو كاذب أو لم يتجدد قلبه حقًا بحسب إنجيل متى 7:20 «من ثمارهم تعرفونهم». من هنا فصّلت المسيحية بين الإيمان كجذر داخلي للخلاص والأعمال كثمرة وظاهر لهذا الإيمان. أي أن الفصل ممكن نظريًا (من حيث عدم اشتراط كمية محددة من الأعمال لنوال الخلاص مبدئيًا)، لكنه غير ممكن عمليًا: فغياب العمل الصالح مؤشر على غياب الإيمان الحقيقي. ولعل هذا الحل هو ما تبناه أغلب اللاهوتيين المسيحيين: الأعمال الصالحة ليست شرطًا إضافيًا منفصلًا عن الإيمان، بل هي جزء من دينامية الإيمان الحيّ. وقد عبّر المصلح جون كالفن عن ذلك بقوله: "الإيمان وحده يبرر، ولكن الإيمان الذي يبرر ليس وحده" مشيرًا إلى ضرورة الأعمال المرافقة. وهكذا عولجت إشكالية الداخل والخارج بتأكيد وحدة العملية الخلاصية وتكامل العنصرين فيها.

في **الإسلام**، قلّما طُرحت ثنائية الإيمان والعمل كمشكلة نظرية عند أهل السنة نظرًا للطبيعة التعريفية الشمولية المذكورة آنفًا. فالإيمان قول وعمل، وبالتالي فإن أي محاولة لفصل الأعمال عن الإيمان تصطدم بمفهوم الإيمان نفسه في التصور الإسلامي. ومع ذلك عرف تاريخ الفكر الإسلامي تيارات حاولت إحداث قدر من الفصل. المرجئة في العصر الأموي وما بعده تبنّوا فكرة إرجاء الحكم على أصحاب المعاصي، ورأوا أن المعصية لا تضر مع الإيمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر. هذا الموقف بالغ في تجريد الإيمان إلى تصديق قلبي مجرد، مما أثار ردودًا من جمهور العلماء الذين اعتبروه انحرافًا؛ إذ كيف يكون مؤمنًا صادق الإيمان من استحلّ الكبائر أو تمادى في الظلم دون توبة؟ بالمقابل ظهرت تيارات مثل الخوارج ربطت الإيمان ربطًا صارمًا بالعمل إلى درجة تكفير مرتكب الكبيرة وزعم سقوط إيمانه بالكلية. التصور السني التقليدي انتقد كلا الطرفين ورأى أن الإيمان الأوسط يجمع بين التصديق والعمل مع إمكانية ضعف الإيمان بضعف العمل دون انعدامه كليًا. وحين تطرفت جماعة المعتزلة وقالت بمنزلة بين المنزلتين (فاسق غير مؤمن ولا كافر)، بقي الخلاف نظريًا حول التعابير لكن الجوهر المتفق عليه لدى جمهور الفقهاء هو أن النفاق العملي ممكن – أي قد يكون المرء مسلمًا مؤمنًا من حيث المبدأ لكنه يقع في نفاق عملي إن خالف عملُه قوله – وهذا مذموم شرعًا. القرآن الكريم

---

[7] **الكتاب المقدس**، العهد الجديد، رسالة يعقوب 2: 17.

[8] **الكتاب المقدس**، العهد الجديد، رسالة يعقوب 2: 24.

[9] **الكتاب المقدس**، العهد الجديد، رسالة رومية 3: 28.

نفسه ذم أشد الذم أولئك الذين «يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم»[10]، واعتبر ترك العمل الصالح مع القدرة نوعًا من خيانة الأمانة الإيمانية. ولذلك تكرر الربط في النص القرآني بين «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» في عشرات الآيات بوصفه وصفًا جامعًا للمؤمنين الصادقين. وجاء في حديث النبي محمد ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»[11] . في ضوء ذلك، أي فصل بين القلب والجارحة هو فصل مصطنع في الرؤية الإسلامية المتكاملة؛ فالتقصير العملي يقدح في تمام الإيمان وإن بقي أصله، والإدعاء القلبي دون برهان العمل لا يُعتدّ به شرعًا. وقد أوجز الحسن البصري هذه العلاقة بقوله: "ليس الإيمان بالتمنّي ولا بالتحلّي، ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل"[12] ، في إشارة واضحة إلى استحالة تحقق الإيمان واقعًا دون أثر أخلاقي ملموس.

بناءً على ما تقدم، يمكن استخلاص أن الأديان الثلاثة تواجه مشكلة العلاقة بين العقيدة والخلق بطريقة تمنع الانفصام التام بينهما، وإن اختلفت في درجة تأكيد كل جانب. اليهودية اعتنت بالظاهر العملي كدليل الولاء الديني، والمسيحية أصرت على أولوية الباطن الإيماني شرطًا للخلاص لكن مع اعتبار الأعمال برهانًا لازمًا، والإسلام وحَّد الاثنين في مفهوم واحد شامل للإيمان.

---

[10] **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، الآية 167.

[11] أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001)، حديث رقم 12567.

[12] أبو بكر البيهقي، **شعب الإيمان**، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد (الرياض: مكتبة الرشد، 2003)، 1: 345.

المبحث الثاني: الإيمان والسلوك الأخلاقي في اليهودية

مركزية الشريعة (الناموس) في اليهودية

تحتل الشريعة اليهودية (هالاخاه) موقع القلب في بنية الإيمان اليهودي. فمنذ العهد التوراتي، قوام علاقة بني إسرائيل بربهم هو الميثاق القائم على التزام الشعب بتطبيق وصايا الله وأحكامه كما نزلت في التوراة. الإيمان بالله في السياق اليهودي التقليدي يتجسد عمليًا في مدى الامتثال لشريعته. لذا يمكن القول إن اليهودية ديانة عمليّة تشريعية بامتياز؛ فقد وُصفت أحيانًا بأنها "دين العمل لا دين الاعتقاد النظري"، بمعنى أن التركيز الأكبر ينصب على Correct practice rather than correct doctrine.بالفعل، يُعرف عن اليهودية غياب عقيدة إيمانية رسمية لفترات طويلة – فلم يوجد ما يعادل قانون الإيمان النيقاوي في المسيحية مثلًا – بالمقابل كان هناك توافق ضمني على أن من يمتثل لشريعة موسى يعدّ عضوًا في جماعة إسرائيل وأمينًا لميثاقها. الشريعة تشمل جوانب أخلاقية (مثل الوصايا العشر: لا تقتل، لا تسرق...) وجوانب طقسية (كالختان وحفظ السبت والأطعمة الطاهرة)، وجميعها تعتبر أوامر إلهية يتعين على المؤمن الالتزام بها. وهكذا فالسلوك القويم حسب الشريعة هو المعيار العملي للإيمان القويم بالله الواحد في اليهودية.

من هذا المنطلق، العمل معيار الانتماء الديني في اليهودية القديمة: فقد كان غير المتقيّد بالناموس يُعتبر خارجًا عن جماعة العهد حتى لو كان مولودًا فيها. على سبيل المثال، في مجتمع الأسينيين قديمًا أو جماعات يهودية أخرى، يتم نبذ الأعضاء الذين يصرّون على انتهاك الفرائض. وفي الشريعة اليهودية المدونة لاحقًا في التلمود، يُخرَج اليهودي المرتد عن الدين (مين מין) أو المجاهر بانتهاك السبت عمدًا، ويعامَل كشخص خارج الجماعة. كل ذلك يدل على أن الهوية الدينية اليهودية ارتبطت بالعمل والسلوك ارتباطًا شديدًا. وحتى مفهوم الكفر في اليهودية (بمعنى رفض الله أو عبادة الأصنام) يتجسد عمليًا؛ فليست هناك ثنائية حادة بين الإيمان كتصديق قلبي والعمل كجانب منفصل، بل إن عبادة الأوثان أو انتهاك حرمة التوحيد تتحقق عبر أفعال ظاهرة (كتقديم الذبائح للأصنام). ومن زاوية أخرى، تظهر مركزية العمل بوضوح في الأدب الربّاني: التلمود يروي أقوالًا تنص على أن دراسة التوراة وتنفيذ الوصايا هما الأساس. من أشهر الأقوال المنسوبة للحاخامات: «ليس المهم الدراسة بل العمل»[13] ، و«كل من لديه العلم بالشريعة وليس لديه الأعمال الصالحة، فهو كشجرة كثيرة الأغصان قليلة الجذور، تقتلعها الريح»[14] . وهذه الأمثال تؤكد أن معرفة الإيمان دون ممارسة الأخلاق والشريعة لا قيمة لها.

العمل معيار الانتماء الديني وأثره

---

[13] *Mishnah: Pirkei Avot*, trans. H. Danby (Oxford: Oxford University Press, 1933), 1:17.

[14] المرجع نفسه، 3:22.

إن اعتماد العمل معيارًا للإيمان والانتماء حمل جوانب إيجابية وأخرى إشكالية. فمن الجانب الإيجابي، أوجدت اليهودية عبر الشريعة نظامًا أخلاقيًا تفصيليًا ينظّم حياة الفرد والجماعة في أدق شؤونها، مؤكدًا بذلك عمق حضور الدين في الحياة اليومية. المؤمن اليهودي الملتزم يعتبر كل فعل – من صلاة وأكل وبيع وشراء – فرصة لإظهار إيمانه بالله عبر امتثال أوامره. وهذا أضفى طابع القداسة على السلوك الدنيوي، حيث يتم تحويل الحياة بمجملها إلى ممارسة دينية. على سبيل المثال، وصية قدوش هاشم (تقديس اسم الله) تستلزم أن يكون اليهودي مثالًا أخلاقيًا أمام الأمم، وأن استشهاده دون انتهاك الفرائض الكبرى يعد تعبيرًا أسمى عن إيمانه. كذلك مفهوم تيكون عولام (إصلاح العالم) في الفكر اليهودي المعاصر ينبع من مسؤولية أخلاقية أساسها الميثاق مع الله.

إلا أن التركيز الشديد على العمل كمعيار للإيمان أفرز أيضًا بعض الإشكالات الأخلاقية. أولها خطر التقيد الحرفي الذي قد يطغى على روح المقصد الأخلاقي. فقد يقع بعض المتدينين في فخ الاهتمام الشكلي بالتفاصيل الدقيقة للناموس مع إغفال جوهر العدل والرحمة. وقد انتقد أنبياء العهد القديم هذا الميل بوضوح كما أسلفنا، واستمر النقد في التراث اليهودي نفسه؛ إذ نجد في التلمود عبارات تذم من "يغسل يديه كثيرًا ويأكل الخرْدل ثم يسرق القبور!"، كناية عن من يلتزم طقوس الطهارة بينما يرتكب فظائع أخلاقية. إشكال آخر يتمثل في نظرة بعض اليهود للأمم الأخرى: فبقدر ما عززت الشريعة هوية أخلاقية قوية داخل الجماعة، إلا أنها رسخت نوعًا من العزلة. وُجدت في بعض الأدبيات الحاخامية نزعات تعتبر غير اليهود أقل أخلاقًا أو غير ملزمين إلا بشرائع بسيطة (نوحيات سبع)، مما أحدث توترًا بين العالمي والخاص. بعبارة أخرى، ربط الأخلاق بالانتماء الديني طرح سؤال العالمية: هل الأخلاق اليهودية إنسانية شاملة أم أنها تخص بني إسرائيل فقط؟ أقرّ كثير من الحاخامات بأن القيم الأخلاقية الكبرى – كالصدق واحترام الحياة – هي شاملة، لكن بقي هناك ازدواج أحيانًا في المعاملة (مثلًا تحريم الربا بين اليهود وجوازه مع غير اليهود في بعض القراءات، أو قواعد السبت التي قد تحول دون إنقاذ حياة وثني يوم السبت وفق تفسيرات متشددة قديمة). هذه الإشكالات تعرضت للمراجعة في العصور الحديثة، حيث سعى مفكرون يهود لإبراز البعد الإنساني العام في أخلاق التوراة. على سبيل المثال كتب الفيلسوف مارتن بوبر عن الإيمان كعلاقة حية مع الآخر، ودعا إيمانويل ليفيناس لأخلاق المسؤولية تجاه الغير انطلاقًا من التقاليد اليهودية نفسها.

ومن الإشكالات أيضًا مسألة أسبقية الأخلاق على الإيمان: هل يمكن أن يُعد الشخص أمينًا أخلاقيًا في نظر الله دون أن يكون جزءًا من جماعة العهد؟ اليهودية الحاخامية قالت بنعم ضمنيًا من خلال مفهوم حسيدي أموت هاعولام (أبرار الأمم)، فلا تشترط أن يصير الإنسان يهوديًا حتى يُقبَل عند الله، بل عليه التزام الحد الأدنى الأخلاقي. غير أن هذا الموقف الإيجابي قابله موقف متشدد لدى فئات أخرى رأت أن الخير الحقيقي مستحيل بدون نور التوراة. هنا يبرز جدل داخلي في الفكر اليهودي: هل الأخلاق مُستقلة عن الدين أم متأتية منه وحده؟ الاتجاه الغالب تقليديًا هو دمج الأخلاق بالدين تمامًا – فـ"كل وصية أخلاقية هي أمر ديني أيضًا" – لكن فلاسفة اليهودية في القرون الوسطى (كابن ميمون) حاولوا التوفيق بين العقل والأمر الإلهي، فقالوا إن أوامر العقل السليم (كالعدل) أكدتها الشريعة لتعطيها وزنًا مقدسًا.

خلاصة القول في هذا المبحث: تعتبر اليهودية السلوك الأخلاقي جزءًا أصيلًا من الإيمان القومي والديني، حتى وإن لم تضع مفهومًا عقائديًا مجردًا للإيمان. فالإيمان عندها يعني الولاء العملي لله عبر التزام شريعته وأخلاقها. وكلما كان المؤمن أمينًا للشريعة قولا وفعلا عُدَّ مؤمنًا صالحًا. وأي فصل بين العقيدة والشرع أو بين التقوى القلبية والعمل الظاهر هو وضع غير سوي ينبغي تصحيحه بالتوبة والتعليم المستمر وفق هدي التوراة والأنبياء.

المبحث الثالث: الإيمان والسلوك الأخلاقي في المسيحية

الإيمان والخلاص في المسيحية

يتمحور الفكر اللاهوتي المسيحي حول فكرة الخلاص بالخلاص الإلهي المجاني بنعمة المسيح. أي أن الإنسان خاطئ بطبيعته ولا يمكنه بلوغ البر أمام الله بأعماله، ولذلك تجسد ابن الله (المسيح) ومات كفارة لخطايا البشر وقام ظافرًا، حتى ينال كل من يؤمن به الحياة الأبدية. في هذا الإطار، اعتُبر الإيمان (بمعنى الثقة القلبية بالمسيح وقبول نعمته) الشرط الضروري والكافي لنيل الخلاص. أبرز من عبّر عن ذلك القديس بولس الذي كتب: «لأنكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد»[15] . هذا النص التأسيسي وغيره أكد عقيدة التبرير بالإيمان (Justification by Faith) التي اعتنقتها الكنيسة الأولى ثم أعاد مارتن لوثر التأكيد عليها بقوة في القرن السادس عشر في سياق رد فعله على ما رآه تجاوزات الكنيسة الكاثوليكية بشأن بيع صكوك الغفران والتركيز على الأعمال. شدّد لوثر على أن الإنسان يُحسب بارًا أمام الله فقط بسبب إيمانه بيسوع المسيح وليس لأي استحقاق شخصي، مستندًا إلى قول الرسول: «البار بالإيمان يحيا»[16] وأصبحت عبارة "الإيمان وحده "(Sola fide) شعارًا أساسًا للإصلاح البروتستانتي.

ولكن، هل يعني هذا أن السلوك الأخلاقي غير مهم في المسيحية؟ قطعًا لا. فالكنيسة في تعاليمها على اختلاف طوائفها لم تقل أبدًا أن المؤمن له أن يخطئ أو يهمل الأخلاق. إنما جرى التأكيد على أن الأعمال الصالحة هي نتيجة لتجديد الروح القدس في المؤمن وليست وسيلة بشرية بحتة لكسب الخلاص. يوضح الرسول يعقوب في رسالته هذه العلاقة بقوله: «أرني إيمانك بدون أعمالك، وأنا أريك بأعمالي إيماني»[17] ، دلالة على أن الإيمان الأصيل يظهر ويتبرهن عبر الأعمال. وقد سعى اللاهوت المسيحي للتوفيق بين بولس ويعقوب، معتبرًا أن كليهما على حق من زاويتين مختلفتين. بولس ركز على لحظة الخلاص الأولى (التبرير الأولي) التي تُمنح بالإيمان بلا مقابل، بينما يعقوب ركز على حياة المؤمن التالية وكيف أن الإيمان يستمر حيًا عاملاً.

النعمة الإلهية تحتل مكانة جوهرية هنا؛ إذ يُعتقد أنه بعد نيل النعمة بالمعمودية أو الولادة الجديدة، يولد المؤمن ''خليقة جديدة'' قادرة على العيش في البر، وتصبح الأعمال الصالحة ممكنة بفضل هذه النعمة ورافقتها الضرورية. لذلك قال أوغسطينوس: "ذاك الذي خلقك بدونك، لا يخلصك بدونك"، مشيرًا إلى أهمية استجابة الإنسان (بالأعمال الصالحة والمحبة) لنعمة الله المجانية.

النعمة والمحبة كأساس أخلاقي

---

[15] **الكتاب المقدس**، العهد الجديد، رسالة أفسس 2: 8–9.

[16] **الكتاب المقدس**، العهد الجديد، رسالة غلاطية 3: 11.

[17] **الكتاب المقدس**، العهد الجديد، رسالة يعقوب 2: 18.

ترتكز الأخلاق المسيحية تقليديًا على فضيلة المحبة (أغابي) بوصفها أعظم الوصايا التي علمها المسيح. عندما سئل يسوع عن أعظم الوصايا أجاب: «تحب الرب إلهك... وتحب قريبك كنفسك. بهذه يتعلق الناموس والأنبياء»[18] . هذا التأكيد وضع المحبة كأساس لكل السلوك الأخلاقي: محبة الله (التي تتجلى في الإيمان به وعبادته) ومحبة القريب (التي تتجلى في أعمال الرحمة والعدل). ومن هنا انبثقت نظرة مفادها أن الإيمان يعمل بالمحبة (حسب ما ورد في غلاطية 5:6). فالمحبة هي الثمرة الطبيعية للإيمان الصادق، وهي أيضًا القوة الدافعة للأعمال الأخلاقية.

بحسب المفكرين المسيحيين، لا تنفصل المحبة كفضيلة لاهوتية عن الإيمان والرجاء؛ إذ تسمى هذه الثلاثة الفضائل الإلهية. فالإيمان يولّد الرجاء والمحبة، والمحبة ''تكمّل'' الإيمان وتعطيه شكله الحي. النعمة (grace) في اللاهوت المسيحي هي المعطى الإلهي المجاني الذي يسكبه الله في قلب المؤمن ليشفيه من الخطيئة ويمكنه من فعل الخير. وبالتالي فإن أي سلوك أخلاقي حسن يقوم به المسيحي يُفهم على أنه استجابة لنعمة الله وعمل روحه فيه، لا مجرد مجهود شخصي. وقد شدد توما الأكويني في القرن الثالث عشر على أن الفضائل الطبيعية (كالحكمة والعدالة) تتسامى بالنعمة لتصبح فضائل لاهوتية (كالمحبة) مرتبطة بالمصير الأبدي. كما أكّد مارتن لوثر نفسه – رغم تركيزه على التبرير بالإيمان – على أهمية ما سماه "الإيمان الفعّال" الذي لا بد أن يُثمر حبًا للآخرين. فهو الذي قال: "الإيمان الحيّ المشغول بالمحبة هو إيمان حقيقي"، موضحًا أن الإيمان الذي يبرر ليس إيمانًا جامدًا بل مصحوب بعملية تقديس مستمرة.

تاريخيًا، قدّمت الكنيسة أمثلة قديسين جسدوا المثال الأخلاقي الناتج عن الإيمان العميق. فالتضحية وخدمة المرضى والفقراء (كما فعلت الأم تيريزا في القرن العشرين مثلًا) إنما كانت تُفهم بدافع الإيمان والمحبة الإلهية. كذلك حركة الأخلاق الاجتماعية المسيحية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين (Social Gospel) دعت إلى تطبيق قيم الإنجيل في العدالة الاجتماعية كترجمة للإيمان في واقع المجتمع. فجوهر الأخلاق المسيحية أن يحب المؤمن الله حقًا، وهذه المحبة تتطلب بالضرورة محبة المخلوقات التي خلقها الله على صورته؛ أي الاهتمام بالإنسان الآخر ورعاية المحتاجين وإقامة العدل.

[18] **الكتاب المقدس**، العهد الجديد، إنجيل متى 22: 37–40.

المبحث الرابع: الإيمان والسلوك الأخلاقي في الإسلام

الإيمان قول وعمل: التكامل بين العقيدة والشريعة

يؤكد المنظور الإسلامي وحدة العقيدة والشريعة والأخلاق ضمن مفهوم الدين. فالإيمان في الإسلام كما سبقت الإشارة عبارة عن مزيج متكامل من الاعتقاد والقول والعمل. ولهذا عُرّف الإيمان عند علماء السنة بأنه قول وعمل ونيّة، بحيث لا يكتمل دون هذه الأركان الثلاثة. فالقول يشير إلى نطق الشهادتين وما يتبعه من ذكر ودعاء، والعمل يشمل أداء الفرائض واجتناب المحرمات وسائر وجوه السلوك، والنية تعني الإخلاص القلبي لله تعالى في كل ذلك. هذا التعريف يوضح أن السلوك الأخلاقي (العمل الصالح) جزء عضوي من الإيمان نفسه وليس أمرًا منفصلًا. وقد انعكس هذا التكامل في مصادر الإسلام الأساسية: فالقرآن الكريم لا يكاد يذكر الإيمان إلا مقرونًا بالعمل الصالح كما سبقت الإشارة، مثل قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾[19] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[20] . هذه الصيغة المتكررة تؤكد عقيدة أن الإيمان الحق يستلزم العمل الصالح بالضرورة. كما أن السنة النبوية حافلة بربط الإيمان بمظاهر أخلاقية: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[21] ، و«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن: من لا يأمن جاره بوائقه»[22] — في هذه الأحاديث يربط النبي محمد ﷺ بين كمال الإيمان وبين خلق عملي هو محبة الخير للغير أو كف الأذى عن الجار، مما يدل على اندماج البُعد الخلقي في مفهوم الإيمان.

على المستوى العقدي، رفض علماء الإسلام منذ القدم فكرة إيمان نظري لا يصحبه عمل. روى الإمام الشافعي إجماع الصحابة على أن الإيمان قول وعمل، ونقل الحافظ البيهقي عن الأئمة قولهم "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص". فأصبح ذلك شعار أهل السنة. ويقرر ابن تيمية: "مذهب السلف أن الإيمان مستلزم للعمل، فلا إيمان لمن لا عمل له"[23].
وهكذا فالعمل الصالح شرط كمالي في الإيمان (أي لا يكتمل الإيمان إلا به) وإن كان أصل الإيمان — عند السلف — هو التصديق بالقلب. هذه النقطة الأخيرة توقف عندها بعض العلماء: فهل الأعمال جزء من ماهية الإيمان أم شرط صحة أم شرط كمال؟ الأغلبية اعتبرتها شرط كمال وتمام، بمعنى أن من ترك الأعمال بالكلية مع قدرته فلا يكون مؤمنًا كاملًا بل يدخل في زمرة أهل الفسق والمذنبين الذين سيكونون في مشيئة الله يوم القيامة. بل ذهب بعضهم (كالإمام أحمد بن حنبل في رواية) إلى أن ترك العمل مطلقًا (كترك الصلاة مثلًا) قد يخرج المرء من دائرة الإيمان إلى الكفر. لكن

---

[19] **القرآن الكريم**، سورة العصر، الآيات 1–3.

[20] **القرآن الكريم**، سورة البينة، الآية 7.

[21] محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري** (الرياض: دار السلام، 1999)، كتاب الإيمان، حديث رقم 13.

[22] محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**)الرياض: دار السلام، 1999)، كتاب الأدب، حديث رقم 6016.

[23] أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، **كتاب الإيمان**، تحقيق محمد بلتاجي (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1975)، 159.

المعتمد أن تارك الفرائض كسلاً لا يُكَفَّر عند الجمهور، وإن كان على خطر عظيم. إجمالًا، خلاصة الرؤية السنية أن الإيمان المجرّد عن العمل إيمان ناقص أو نظري لا ينجي صاحبه، وأنه مهما ادعى الإنسان الإيمان فإن صدق دعواه يظهر في امتثال أوامر الدين في حياته. وقد عبّر القرآن عن ذلك بمثل قوله: ﴿لَا تَقُولُوا آمَنَّا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا...﴾[24] ثم بين أن الإيمان الحقيقي يدخل القلوب ويثمر عملًا وطاعة . ومن هنا كانت الشريعة الإسلامية (بأحكامها الحلال والحرام) هي الإطار العملي للإيمان؛ فالتزام المسلم بها هو برهان إيمانه وتعبير خضوعه لله (إسلامه له ظاهرًا وباطنًا).

الأخلاق كجزء من الإيمان

تؤكد النصوص الإسلامية أن حسن الخلق جزء أساسي من الإيمان. روى الإمام الترمذي عن النبي ﷺ قوله: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا»[25]. وفي حديث آخر: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[26] . فغاية الرسالة الإسلامية هي ترسيخ الفضائل؛ وبالتالي تكون الأخلاق الفاضلة دليلًا على قوة الإيمان وتمامه. وقد فسر بعض العلماء قوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ في سياق مهمة النبي – بمعنى يطهرهم أخلاقيًا – أن التزكية الأخلاقية شرط لتحقق الإيمان الصادق. ولم يكن التصوف الإسلامي (علم التزكية) سوى تعميق لهذا الفهم، حيث سعى الصوفية إلى تطهير الباطن والظاهر من الرذائل وتحلية النفس بالفضائل للوصول إلى مقام الإحسان (وهو أن تعبد الله كأنك تراه). يُلاحَظ هنا أن البعد الروحي للإيمان الإسلامي يلتقي تمامًا مع البعد الأخلاقي؛ فالإحسان يشمل مراقبة الله في الباطن وإظهار الرحمة وحسن المعاملة في الظاهر.

ومن جهة أحكام الشريعة، كثير من الفرائض والعبادات في الإسلام ذات مقاصد أخلاقية واضحة تربط الإيمان بالعمل الخلقي. فالصلاة – وهي عماد الدين – نهايتها «تنهى عن الفحشاء والمنكر»[27] , والصوم شُرع لـ«لعلكم تتقون» أي لتكتسبوا التقوى[28] , والزكاة تطهر النفس من الشح وتنمي مشاعر التكافل، والحج يربي على الصبر ونبذ الجدال والرفث، وهكذا. فكل عبادة شعائرية تحمل في طياتها أثرًا سلوكيًا أخلاقيًا. بل إن بعض العلماء ذهبوا إلى أن العمل الفاسد أو الخلق الذميم يمكن أن يبطل ثمرة العبادة أو يُنقص من ثوابها بشكل كبير؛ فالحديث: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش» في إشارة إلى من يصوم ويسيء الخلق فلا ينتفع بصومه. كذلك قال ﷺ: «من لم يدع قول

---

[24] **القرآن الكريم**، سورة الحجرات، الآية 14.

[25] محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق أحمد شاكر (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975)، كتاب البر والصلة، حديث رقم 1162.

[26] مالك بن أنس، **الموطأ** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1985)، حديث رقم 1609.

[27] **القرآن الكريم**، سورة العنكبوت، الآية 45.

[28] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، الآية 183.

الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[29] – مبينًا أن الكذب والفسوق ينافيان مقصد الصيام الإيماني.

من هنا، الأخلاق ليست مجرد نتيجة فرعية للإيمان في الإسلام، بل هي جزء من تعريفه ومحتواه. فالصدق والأمانة والعفاف وبر الوالدين وصلة الرحم وغيرها هي في المنظور الإسلامي واجبات إيمانية. والمجتمع المثالي (أو الأمة الصالحة) في الإسلام هو الذي يجمع أفراده بين صحة العقيدة واستقامة الخلق. وقد جسّد النبي محمد ﷺ هذا المثال في سيرته؛ فكان معروفًا قبل البعثة بـ"الصادق الأمين"، وبعد النبوة لُقّب بـ"المعلم والمزكّي". واقتدى الصحابة بذلك، فكانت سلوكياتهم التطبيق العملي لفهمهم للإيمان؛ فلا يُتصوَّر صحابي جليل كأبي بكر أو عمر مثلًا يؤمن بالله ورسوله ثم يغش أو يخون، بل نقل عنهم تشديدهم على المحاسبة الذاتية: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» (عمر بن الخطاب). كل هذا يعكس استحالة الفصل بين العقيدة والخلق في الوعي الإسلامي المبكر.

التوازن بين النيّة والسلوك

رغم توكيد الإسلام على أهمية العمل، إلا أنه طور مفهومًا مهمًا يوازن الظاهر والباطن، هو مفهوم النية في تقييم الأعمال. فالنية الصالحة هي شرط قبول العمل عند الله وفق الحديث المشهور: «إنما الأعمال بالنيات»[30]. هذا يعني أن العمل الأخلاقي يجب أن يصدر عن دافع إيماني صحيح وإخلاص لله تعالى ليكتسب قيمته الكاملة. ومن هنا نشأ مبحث الإخلاص في علم الأخلاق الإسلامي، الذي يربط السلوك الظاهر بحالة القلب. قد يؤدي شخص عملًا خيرًا – كالصدقة – رياءً من أجل السمعة، فهذا عمله مرفوض عند الله ولا يدل على إيمان صادق بل على نفاق. لذلك شدد القرآن على ذم المرائين: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[31]، ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[32]. فالعمل بدون نية صالحة لا قيمة له دينيًا، حتى لو كان في ظاهره أخلاقيًا. في الوقت نفسه، النية الحسنة وحدها لا تعفي المسلم من ضرورة العمل؛ فمن نوى الخير ولم يفعله لعذر قد يؤجر على نيته، لكن من ادعى الإيمان بقلبه وترك الواجبات بلا عذر فلا يُقبل منه هذا الزعم. هكذا يتضح التوازن الدقيق في الإسلام: لا عمل صالح بدون نية صالحة، ولا نية صادقة تثبت بدون عمل صالح.

هذا التوازن يحول دون النفاق بشقيه: النفاق الاعتقادي (إظهار الإيمان وإبطان الكفر) والنفاق العملي (إظهار العمل الصالح رياءً دون إيمان حقيقي). فكلا النوعين من النفاق مدمر لقيمة العمل والإيمان معًا. وقد اعتنى القرآن بكشف

---

[29] محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري** (الرياض: دار السلام، 1999)، كتاب الصوم، حديث رقم 1903.

[30] محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري** (الرياض: دار السلام، 1999)، كتاب بدء الوحي، حديث رقم 1.

[31] **القرآن الكريم**، سورة التوبة، الآية 54.

[32] **القرآن الكريم**، سورة النساء، الآية 142.

صفات المنافقين الذين «يخادعون الله وهو خادعهم»[33] , وأوضح أنهم «في الدرك الأسفل من النار»[34] رغم كثرة صلاتهم وصدقاتهم في الظاهر، لأنها بلا إيمان صادق. بالمقابل، وجدنا القرآن يمتدح أقوامًا من أهل الكتاب وغير المسلمين لأخلاق معينة، ولكنه يربط قبول أعمالهم بإيمانهم بالله واليوم الآخر معًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا... مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا... فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾[35]. فحتى يُعتبر العمل مفضيًا للنجاة يجب أن يكون نابعًا عن إيمان صحيح. وهذه نقطة اختلاف عن التصور اليهودي الذي يقبل ضمنًا صلاح غير اليهود ولو لم يدخلوا اليهودية ما داموا يلتزمون نواميس خلقية محدودة؛ والإسلام يشابه المسيحية هنا في اشتراط الإيمان كأساس لقبول العمل أخرويًا. لكنه أيضًا يذهب أبعد حين يعتبر كل عمل خير يقوم به المؤمن – مهما صغر – عبادة يؤجر عليها إن صحت نيته (حتى اللقمة يضعها الرجل في فم زوجته بنيّة حسنة تعد صدقة).

التطبيق التاريخي لهذا المبدأ ظهر في شخصية المحتسب في الحضارة الإسلامية، الذي يراقب الأسواق والسلوكيات الأخلاقية في المجتمع لضبطها، لكن العلماء شددوا أن الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) نفسها يجب أن تمارس بحكمة وإخلاص ورفق، وإلا تحولت إلى مظهرية جوفاء. وظهرت أيضًا شخصية الزاهد أو العابد الذي ينشغل بإصلاح قلبه وتجريد نيته مع القيام بالفرائض. ولمواجهة أي انحراف، أكد الفقهاء قاعدة "الأعمال بالنيات" ليذكّروا بأن قيمة العمل عند الله ليست بصورة العمل بل بحقيقة التقوى وراءه. فرب مُصلٍّ لم يزده صلاته إلا بعدًا لأنه لم يخشع فيها ولم يقصد بها وجه الله، ورب متصدقٍ جاء يوم القيامة ولا وزن لصدقته لأنه فعلها رياءً ليقال كريم. بهذا الفهم العميق، حافظ الإسلام على الربط بين الإيمان الباطن والسلوك الظاهر في علاقة عضوية ذات اتجاهين: الإيمان يدفع للعمل، والعمل يغذي الإيمان ويقويه. فإذا ضعف العمل الصالح ضعف الإيمان تبعًا لذلك. ومن هنا نفهم لما يُروى أن الصحابة كانوا يتفقدون إيمانهم بقياس أعمالهم؛ روي عن أبي الدرداء قوله: "من فقه العبد أن يعلم أيزداد إيمانه أم ينقص"، وورد أن عمر بن الخطاب كان يقول لأصحابه: "هلموا نزدد إيمانًا"، فيجتمعون على الذكر والطاعة. كل ذلك يشير إلى نظرة ديناميكية للإيمان بوصفه حالة حية تنمو وتزدهر بالطاعة والعمل الأخلاقي وتتآكل بالمعصية والغفلة.

باختصار، قدّمت المنظومة الإسلامية نموذجًا يرى الأخلاق جزءًا من الإيمان وجزءًا من العبادة معًا. فلا مجال في التصور الإسلامي لإيمان حقيقي مع انعدام الخلق أو فساد السلوك، كما لا قيمة لعمل أخلاقي دون سند من عقيدة التوحيد والإخلاص. وبهذا جمعت التعاليم الإسلامية بين مقتضيات الإيمان النظري ومتطلبات الحياة العملية في توازن فريد، هدفه تكوين فرد تقي نقي القلب وصالح الفعل، ومجتمع يسوده المعروف وينأى عن المنكر، تحقيقًا لغاية استخلاف الإنسان في الأرض بمنهج الله.

---

[33] **القرآن الكريم**، سورة النساء، الآية 142.

[34] **القرآن الكريم**، سورة النساء، الآية 145.

[35] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، الآية 62.

المبحث الخامس: الدراسة المقارنة والتقييم النقدي

نقاط الالتقاء بين الديانات الثلاث

بالرغم من الاختلافات العقائدية العميقة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، فإن نظرتها إلى العلاقة بين الإيمان والسلوك الأخلاقي تتقاطع في عدة نقاط جوهرية. أبرز نقطة التقاء هي التأكيد على أهمية السلوك الأخلاقي بوصفه مظهرًا لإيمان صادق. فجميعها ترفض فكرة أن الإيمان القلبي المجرّد كافٍ دون ترجمة عملية. اليهودية تُظهر ذلك من خلال مركزية التزام الشريعة؛ فإيمان اليهودي بإله إسرائيل يستدل عليه بطاعته لوصايا التوراة. والمسيحية — رغم عقيدة التبرير بالإيمان — تصر على أن الإيمان الحقيقي "يعمل بالمحبة" وأن معرفة الله دون حفظ وصاياه أمر متناقض (كما جاء في رسالة يوحنا الأولى 2:4 «من يقول قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب)[36]. والإسلام يجعل العمل الصالح شرطًا لتحقيق الإيمان ويعده شعبة من شعبه كما رأينا. إذًا النفاق الديني (أي التظاهر بالإيمان مع انعدام التقوى العملية) مرفوض في الديانات كلها ومصيره الإدانة الإلهية. وبالمثل، تلتقي الأديان الثلاثة على أن الأخلاق جوهرية في العلاقة بالله: فالله في التصور الإبراهيمي إله أخلاقي يريد من الإنسان أن يتحلى بالعدالة والرحمة والصدق وما إلى ذلك. جاء في ميخا 6:8 في الكتاب المقدس اليهودي: «قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح. وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعًا مع إلهك»[37] — وهذه العبارة يمكن لأي مسلم أو مسيحي أن يتفق مع مضمونها. كذلك تشترك هذه الأديان في فكرة القدوة أو النموذج المثالي: فاليهودية تطرح مثال الأنبياء والأبرار (إبراهيم، موسى...) كنماذج جمعوا الإيمان والعمل، والمسيحية تقدم يسوع المسيح نفسه مثال الإيمان الكامل المقترن بالمحبة الباذلة، والإسلام يضرب بنبيه محمد ﷺ وصحابته أروع الأمثلة في تحقيق الإيمان قولًا وفعلاً.

نقطة التقاء أخرى هي الاعتراف بأن الأعمال وحدها بدون إيمان لا تكفي للخلاص. فحتى اليهودية التي تعطي قيمة لأبرار الأمم، تؤمن بأن الخلاص الأتم (في مفهومها الدنيوي والأخروي) مربوط بعلاقة صحيحة بإله إسرائيل وربما بالمجيء المسياني، أي بعنصر إيماني غيبي. والمسيحية أوضح في هذا الأمر إذ ترفض أن ينال الإنسان الحياة الأبدية بمجرد أخلاق إنسانية دون ولادة روحية جديدة عبر المسيح. والإسلام كذلك يرى أن عمل الخير من قبل غير المؤمن — مهما كان نافعًا للناس — لا يُجازى عليه المرء في الآخرة إن غاب عنه أساس التوحيد والإيمان بالرسالة (يُستشهد بآيات مثل: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[38] في حق من أنكروا آيات الله). إذًا هناك اتفاق ضمني على أولوية العلاقة بالله (الإيمان) كأساس لصلاح الأعمال وقبولها النهائي أمام الله.

وتلتقي الديانات الثلاث أيضًا في تقديرها لبعض القيم الأخلاقية العالمية واعتبارها جزءًا من متطلبات الإيمان. مثلًا قيمة الصدق: في التقاليد اليهودية "الختم الإلهي هو الحق" أي أن الله يمقت الكذب، والمسيحية تعلم أن "الشيطان كذاب

---

[36] **الكتاب المقدس**، العهد الجديد، رسالة يوحنا الأولى 2: 4.

[37] **الكتاب المقدس**، العهد القديم، سفر ميخا 6: 8.

[38] **القرآن الكريم**، سورة الفرقان، الآية 23.

وأبو الكذاب" وأن الكذّابين نصيبهم الهلاك[39]، والإسلام يصف المؤمن بأنه لا يمكن أن يكون كذابًا لأن الكذب مناف للإيمان. كذلك الرحمة والإحسان: اليهودية تقول في التلمود "العالم قائم على ثلاثة أمور: التوراة والعبادة وأعمال الرحمة"، والمسيح أعلن "طوبى للرحماء" في موعظته، والإسلام جعل "الراحمون يرحمهم الرحمن" وسمى الله نفسه "الرحمن الرحيم" وجعل الرحمة خلقًا إلهيًا مطلوب التخلّق به. هذه التوافقات تشير إلى أرضية أخلاقية مشتركة مستمدة من كون مصدر الأديان واحد عند المؤمنين (إله واحد) أو على الأقل نتيجة تشابه احتياجات المجتمعات البشرية إلى فضائل معينة للحفاظ على التماسك والتعايش.

نقاط الاختلاف بين النماذج الثلاثة

على الرغم من النقاط المشتركة، هناك اختلافات واضحة في نماذج الترابط بين الإيمان والأخلاق في اليهودية والمسيحية والإسلام، نابعة من اختلاف تصوراتها اللاهوتية والعقائدية.

أولًا :يختلف تصور ماهية الإيمان نفسه وكيفية تعريفه. فاليهودية historically لم تبلور عقيدة إيمان محددة عالمية، بقدر ما ركزت على الهوية اليهودية ورباط الميثاق. وبالتالي، الأخلاق عندها جزء من شروط العهد وليست شرطًا وجوديًا للإيمان الفردي بمعنى لاهوتي؛ أي أن اليهودي قد يبقى في جماعة الإيمان حتى لو أخلّ ببعض الأخلاق (مع تحمله الإثم) طالما لم يخرج على الملة، بينما في المسيحية والإسلام لمجرد أن يتحول الشخص إلى فاجر زنديق يُعتبر عمليًا فاقدًا للإيمان الحي (في المسيحية) أو ناقص الإيمان بشدة وربما خارج الملة إن استحلّ المحرمات (في الإسلام). هذا الاختلاف دقيق ولكنه مهم: اليهودية ديانة جماعية؛ الفرد فيها مرتبط بشعب العهد، أما المسيحية والإسلام فلهما بعد فردي أقوى في مسألة الإيمان (العلاقة الشخصية مع الله في المسيحية، والاستسلام الشخصي لله في الإسلام) وهذا يجعل الوزن الأخلاقي الفردي على الضمير أعظم وربما أسرع تأثيرًا على الوضع الديني للشخص.

ثانيًا :تختلف الأديان الثلاثة في مدى شمولية الشريعة الأخلاقية وفي كونها مكتوبة أو غير مكتوبة. اليهودية والإسلام كلاهما يملكان منظومة تشريعية واسعة تغطي تفاصيل الحياة (الأكل، الشرب، الملبس، المعاملات المالية، الأحوال الشخصية، العبادة...). في هذين الديانتين، لا يوجد تقريبًا مجال "أخلاقي" منفصل عن "الديني"؛ فكل فعل محكوم بحكم شرعي. وبالتالي الارتباط بين الإيمان والعمل هنا ارتباط عضوي ومباشر: إيمانك يقتضي إطاعة كل هذه الأحكام التفصيلية كجزء من ولائك لله. في المسيحية الوضع مختلف؛ فبعد المسيح خاصة بالنسبة للمسيحيين من أصل أممي (غير يهودي)، ليست هناك شريعة عملية مفصلة ملزمة في كل الأمور. ألغى قرار مجمع أورشليم (أعمال الرسل 15) ضرورة تقيد المسيحيين الأمميين بشريعة موسى، واكتُفي بوصايا أخلاقية عامة (الامتناع عن الزنا والدم... إلخ).
فالمسيحية اعتمدت كثيرًا على ناموس المحبة والضمير المستنير بالروح القدس بدلاً من أحكام قانونية مفصلة. هذا الفارق جعل شكل العلاقة بين الإيمان والسلوك مرنًا في المسيحية: فبدل قائمة واجبات محددة، عندهم مبادئ كبرى ويرشدهم

[39] **الكتاب المقدس**، العهد الجديد، سفر رؤيا يوحنا 21: 8.

روح الله في تطبيقها. أما اليهودية والإسلام فعندهما قدر أقل من المرونة: مجموعة فرائض وحدود واضحة يعتبر تنفيذها تجسيدًا مباشرًا للإيمان.

بناءً على ذلك، ينظر كل دين إلى مخالفة أوامر الله نظرة مختلفة نوعًا ما. اليهودية (خاصة بعد تطوير نظام التوبة والتكفير بالذبائح قديما ثم بالصلاة والأعمال الصالحة بعد خراب الهيكل) ترى أن الخاطئ يبقى ضمن شعب الله لكن عليه التكفير والعودة للالتزام. المسيحية التقليدية ميزت بين الخطيئة العرضية التي لا تسقط الإيمان وبين "الخطيئة المميتة" (في اللاهوت الكاثوليكي) التي إن ارتكبها المؤمن بوعي وعناد يبتعد عن حالة النعمة وقد يهلك إن لم يتب، أما البروتستانتية الكلاسيكية فتتحدث عن أن المؤمن الحقيقي قد يخطئ لكن لا يرتد بالكامل إن كان مولودًا ثانية حقًا (عقيدة ضمان الخلاص الأبدي عند بعضهم). الإسلام أيضًا يفرّق بين الصغائر والكبائر؛ فالصغيرة تكفّرها الصلاة والعبادات المستمرة، والكبيرة تقتضي توبة مخصوصة، لكن المسلم الفاسق لا يُخرجه ذنبه من دائرة الإسلام عند أهل السنة ما لم يكن مصحوبًا باعتقاد فاسد أو استحلال. هذه الفروق تظهر اختلافًا في رؤية أثر العمل على حالة الإيمان: في اليهودية والإسلام قد يبقى العاصي "مؤمنًا مذنبًا"، أما في كثير من التيارات المسيحية فالعاصي الجسيم يُعتبر إيمانه ميتًا أو أنه انفصل عن الكنيسة (في الكاثوليكية عليه الاعتراف ليستعيد حالة النعمة).

ثالثًا :ثمة اختلاف متعلق بفلسفة الخلاص والغفران. اليهودية تركز على الحياة الحاضرة وأقل انشغالًا بمفهوم الجحيم الأبدي (رغم وجود مفهوم العالم الآتي). الخلاص عندها جماعي وتاريخي (مثلاً خلاص الشعب من الضيق، مجيء المسيحاني المنتظر وإحلال السلام). الأعمال الصالحة تعجّل بالخلاص الجماعي وفق التراث، لكن الإيمان يعني انتماء الشعب المختار. المسيحية محورها الخلاص الأخروي الفردي عبر المسيح؛ هنا الإيمان بيسوع هو الفارق الجوهري بين الهالك والمخلَّص. فحتى لو كان الإنسان فاضلًا أخلاقيًا لكنه رفض المسيح، لا ينفعه صلاحه بحسب العقيدة التقليدية ("لا خلاص خارج الكنيسة" كما صيغ تاريخيًا، مع تفسيرات مختلفة حديثًا). الإسلام كذلك يؤكد على نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين في الآخرة مهما بدا الخير على بعض الكافرين في الدنيا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾[40]. لكنه – بخلاف معظم التيارات المسيحية – يعطي وزنًا لأعمال المسلم في تحديد درجته في الجنة أو عقوبته المؤقتة في النار إن كان عاصيًا؛ إذ يُعتقد أن مسلمًا عاصيًا ربما يدخل النار فترة ثم يخرج بالشفاعة أو رحمة الله بسبب أصل إيمانه، بينما الكافر حتى ولو كان خيرًا في الدنيا لا نصيب له في الجنة عند أغلب العلماء. هذه الاختلافات تبرز زاوية التقييم الإلهي: هل المعيار النهائي هو الإيمان وحده أم مزيج الإيمان والعمل؟ المسيحية البروتستانتية تميل للأول (مع اعتبار العمل تابعًا)، الكاثوليكية والإسلام يعتمدان مزيجًا (الإيمان أساس ثم العمل يتمم ويؤكد). اليهودية التقليدية لا تتكلم بلغة الحساب الفردي الأخروي بنفس الوضوح، لكنها تركز على بركات الدنيا ونوع من الجزاء العام في الآخرة.

رابعًا :تختلف الأديان في تعريف الفضيلة والسلوك الأمثل المستمد من تصوراتها العقدية. فمثلًا فضيلة التواضع قيمة مشتركة لكن خلفيتها تختلف: المسيحية ترفع التواضع ربما أكثر من غيرها اقتداءً بالمسيح المتواضع الذي "أخلى ذاته"

[40] **القرآن الكريم**، سورة النساء، الآية 48.

[41]حتى الصليب؛ اليهودية تقدر التواضع (موسى ''حليم جدًا'') ولكن أيضًا تعتز بهوية الشعب المختار مما ولّد عبر التاريخ ازدواجية في الممارسة (تواضع أمام الله، لكن مع باقي الأمم ربما شعور بالتفوق كما انتقد ذلك بعض الباحثين). الإسلام يحض على التواضع ويربطه مباشرة بالإيمان (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر) لكنه أيضًا يوازن التواضع بعزة المؤمن وكرامته وأنه "لا يذل". فهذه فروقات نابعة من نماذج القداسة: المسيح المصلوب مقابل موسى قائد بني إسرائيل مقابل محمد القائد والنبي؛ كل نموذج منهم يُثري مجموعة من القيم الأخلاقية أكثر من غيرها. المسيحية تُبرز فضائل الإحسان المطلق حتى للأعداء ("أحبوا أعداءكم") والغفران ("اغفر لهم")، اليهودية تبرز العدالة والالتزام والولاء لله ضمن الجماعة ("العين بالعين" لضبط العدالة قبل أن تتطور النظرة) ، الإسلام يوازن بين العدل والإحسان، فيأمر بالعدل أولًا ثم الإحسان[42] ويتيح العفو ولكنه لا يوجبه دائمًا إذا انتهكت الحقوق بل يقر العقوبة مع استحباب العفو. هذه الاختلافات في المنظور الأخلاقي تؤثر على ربط الإيمان بالسلوك: فمسيحي قد يعتبر أن علامة الإيمان الأقوى هي محبته حتى لمن يسيء إليه، والمسلم قد يعتبر علامة إيمانه هي إقامته للعدل في نفسه وأهله مع رحمته عند المقدرة، واليهودي قد يرى علامة إيمانه التزامه بشرائع دينه كلها بلا انتقاص بما فيها إحسانه لأخيه في الملة.

تقييم أخلاقي مقارن للنماذج الثلاثة

عند تقييم النماذج الثلاثة أخلاقيًا من منظور مقارن، نجد لكل نموذج نقاط قوة ونقاط ضعف نسبية في مجال ربط الإيمان بالسلوك.

النموذج اليهودي يتسم بقوة الالزام التشريعي: فهو يوفر دستورًا عمليًا واضحًا للسلوك يأتي مباشرة من الإيمان بالإله الواحد وميثاقه. هذا يولّد شخصية متدينة ملتزمة بتفاصيل الحياة اليومية بدافع ديني، مما يقلل التشتت والذاتية في تقرير ما هو خير. أيضًا قدّمت اليهودية مثالًا على مجتمع ينظم حياته قانونيًا وأخلاقيًا بتفصيل دقيق، فنجحت في الحفاظ على هوية دينية وأخلاقية على مدى قرون رغم الشتات. لكن يُنتقد هذا النموذج أحيانًا بأنه قد ينتج شكليين يهتمون بحرفية الشريعة دون روحها، أو قومية دينية منعزلة تعتبر الأخلاق امتيازًا لها وحدها. النزعة الحصرية في بعض التيارات اليهودية (نظرة الدونية للغرباء أو التهاون في حقوق غير اليهود) مثلًا تخالف ما قد يُعتبر أخلاقًا عالمية. ومع ذلك، اليهودية الإصلاحية والمعاصرة حاولت تجاوز هذه المآخذ بالتركيز على "روح الأنبياء" والعدالة الاجتماعية الكونية. إجمالًا، النموذج اليهودي ناجح في دمج الدين بالحياة وخلق مجتمع "أخلاقي–قانوني" مترابط، لكنه قد يقع في مخاطر الجمود والتحيز إن لم يُضبط بقيم رحبة.

النموذج المسيحي يبرز فضيلة النية الخالصة والمحبة كأساس، وهذا يمنحه عمقًا أخلاقيًا وإنسانيًا كبيرًا. فالأخلاق المسيحية (خاصة في تعاليم المسيح الأساسية) تدعو لمثالية عالية: محبة الأعداء، تواضع كالخادم، مسامحة غير محدودة، نظر إلى باطن الإنسان لا ظاهره (مثل تشديد المسيح على نقاوة القلب وأن من نظر بشر نظرة شهوة فقد زنى في

---

[41] **الكتاب المقدس**، العهد الجديد، رسالة فيلبي 2: 7.

[42] **القرآن الكريم**، سورة النور، الآية 90.

قلبه). هذا العمق يجعل الأخلاق المسيحية معيارية جدًا وتطمح للكمال ("كونوا كاملين كما أن أباكم السماوي كامل)[43]. علاوة على ذلك، النزعة العالمية واضحة: دعوة أخلاقية موجَّهة لكل إنسان ("اذهبوا تلمذوا جميع الأمم")، وتأسيس لفهم أن الأخلاق ليست طقوسًا بل محبة ناشئة من إيمان. هذه القوة ربما جعلت المسيحية من أكثر الديانات تأثيرًا عالميًا في مجال القيم (حقوق الإنسان، كرامة الفرد، الجمعيات الخيرية...). ومع ذلك، يواجه النموذج المسيحي تحديًا في التطبيق: المثاليات العالية قد تصطدم بضعف الطبيعة البشرية، ولولا مفهوم النعمة والغفران الدائم ربما شعر الفرد بالعجز (وهذا ما حدث فعلًا في نقاشات لوثر، حيث شعر بثقل المطالب الأخلاقية وحاجته لنعمة مجانية). كما أن فصل الشريعة عن العقيدة جعل الكنيسة تاريخيًا تلجأ لسلطة كنسية لوضع قواعد تنظيمية (اللاهوت الأدبي الكاثوليكي حاول ملء هذا الفراغ بوضع قوائم خطايا كبرى وصغرى، لكن البروتستانت اعتمدوا على ضمير الفرد والروح القدس). هذا أحيانًا أدى لتفاوت كبير: فمنهم من بالغ فركّز فقط على الإيمان وأهمل "العالم" (اتجاهات الرهبنة المنغلقة عن المجتمع أو التأكيد أن الملكوت ليس من هذا العالم)، ومنهم من تصالح مع معايير دنيا فساوم مع قيم المجتمع غير الدينية (كما اتُّهم بعض المسيحيين في عصور بالتحلل الأخلاقي تحت حجة الخلاص بالإيمان دون اعتبار للأعمال). ويمكن القول أن المسيحية ما زالت تحاول تحقيق التوازن العملي بين الحرية في الروح والالتزام الخلقي. نجاحها يبدو واضحًا في قديسيها ومصلحيها الاجتماعيين، وإخفاقها يظهر في فترات استخدمت فيها الدين لتبرير حروب أو اضطهاد (تناقض صارخ مع مبدأ المحبة). لكن عمومًا، يظل النموذج المسيحي مصدر إلهام أخلاقي عالمي بسبب تغليبه روح الأخلاق لا حرفها، مما منحه قدرة على التكيف والانتشار بين ثقافات شتى.

النموذج الإسلامي يتميز بشمولية وتوازن ملحوظين. فهو يشابه اليهودية في وجود إطار تشريعي واضح، ويشابه المسيحية في التشديد على النية والإخلاص، وبذلك جمع بين تحديد معيار السلوك وإعطاء أهمية لروح ذلك السلوك. القوة الكبرى في النموذج الإسلامي هي مفهوم التكامل: لا ثنائية حقيقية بين دين ودنيا، أو إيمان وعمل؛ فكل فعل من أدق خصوصيات الفرد إلى أوسع قضايا المجتمع يمكن أن يُقيم أخلاقيًا وفق مبادئ الشريعة، ودائمًا مع استحضار نية التعبد لله. هذا خلق عبر التاريخ شخصيات مؤمنة ترى حياتها بكل جوانبها تجسيدًا لعلاقتها بالله، فلا تمزق بين دينها ودنيويتها. كما أن خاصية الزيادة والنقصان في الإيمان جعلت الإنسان في حالة سعي مستمر للتحسن الخلقي والتقرب إلى الله، وفي نفس الوقت يعي أن إيمانه معرض للضعف لو تهاون. بالإضافة إلى ذلك، عالمية الإسلام واضحة في التصور الأخلاقي: فهو يعتبر نفسه خاتم الرسالات للناس كافة، ويحض أتباعه على الدعوة للخير والأمر بالمعروف عالميًا (مع احترام حرية المعتقد "لا إكراه في الدين"). وشدد الإسلام على كرامة الإنسان وخلافته في الأرض، مما أعطى القيمة للأعمال التي تعمر الدنيا وتنهض بالمجتمع. ومع هذا، تعرض النموذج الإسلامي لتحديات في بعض الفترات: أحيانًا طغى الفقه الشكلي على حساب مقاصد الأخلاق (مثال: الانشغال الزائد بأحكام النجاسة والطهارة مقابل إهمال بعض المسلمين لآداب المعاملة، مما أدى لانتقاد أهل التصوف لهذا الخلل). أيضًا واجهت المجتمعات الإسلامية إشكالات مثل وضع المرأة أو التعامل مع غير المسلمين، حيث تضاربت تفسيرات النصوص بين متساهل ومتشدد

[43] **الكتاب المقدس**، العهد الجديد، إنجيل متى 5: 48.

أخلاقيًا، مما أعطى انطباعًا متناقضًا أحيانًا عن الأخلاق الإسلامية. إنما يُلاحظ أن كلما ظهر ميل إلى الغلو أو الجمود، كان هناك إصلاحيون يعودون للأصول ليؤكدوا على روح العدل والرحمة في الشريعة. مثلًا في العصر الحديث شدد علماء كثر على أن مقاصد الشريعة هي حفظ الحقوق الأساسية (الدين، الحياة، العقل، النسل، المال) وكلها قيم أخلاقية عامة، وأن أي ممارسة باسم الدين تناقض هذه المقاصد يجب إصلاحها. يمكن القول أن التحدي الأكبر للإسلام اليوم ليس نظريًا بل في صورة تطبيقاته: فبعض الجماعات المتطرفة التي تدّعي الإسلام شوهت العلاقة بين الإيمان والأخلاق بارتكابها عنفًا وفسادًا باسم الدين — وهو ما يخالف صريح النصوص — فأوجب ذلك على عموم العلماء المسلمين بذل جهد أكبر في بيان حقيقة أن لا إيمان صحيح بدون سلام ورحمة وعدل.

عند الموازنة، نجد **اليهودية** قوية في الالتزام العملي داخل المجموعة، لكنها أقل انفتاحًا على الآخرين (تقليديًا)؛ **المسيحية** سامية في المثاليات الروحية والشخصية، لكنها عانت لتحقيق نظام اجتماعي عادل دون قوانين واضحة من داخلها (مما استدعى ربما علمنة القوانين في العالم الغربي الحديث لفصلها عن اختلافات المذاهب)؛ **الإسلام** قدم حلاً وسطًا بتنظيم إلهي مفصّل إلى حد ما للحياة، مع ترك بعض المرونة للاجتهاد، ولذلك لديه قدرة على بناء مجتمع أخلاقي ولكن التحدي في إدارة هذا التشريع مع تطورات الزمن. أخلاقيًا، الثلاثة قدّمت إسهامات حضارية كبرى: اليهودية رفدت العالم بقيم العدالة المتشددة مع الرحمة (سنة اليوبيل لإلغاء الديون مثلا)، المسيحية رفدته بقيم المحبة والتضحية والخدمة (المستشفيات والإغاثات ظهرت كثير منها بمبادرات مسيحية تاريخيًا)، الإسلام قدم نموذج الأخلاق المتوازن (ففي عصور قوته اشتهرت مجتمعاته بالأمانة والتكافل والشورى نسبيًا). بالطبع لكل منها كبوات وإخفاقات تاريخية عندما طغت السياسة أو العصبية على الدين، لكن الأصل النظري في الأديان الثلاثة يوجه نحو بناء إنسان فاضل ومجتمع صالح انطلاقًا من العلاقة مع الله.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن العلاقة بين الإيمان والسلوك الأخلاقي في الديانات الإبراهيمية الثلاث هي علاقة تلازمية عضوية، وإن اختلفت كيفياتها اللاهوتية. فبينما تؤسس اليهودية الأخلاق على "الامتثال للشريعة" كشرط للميثاق، وتعتبر المسيحية الأخلاق "ثمرة للنعمة" وبرهاناً على الخلاص، يدمج الإسلام الأخلاق في "ماهية الإيمان" ليكون العمل ركناً لا يصح الإيمان إلا به أو بنية فعله. وتتفق جميعها على رفض التدين الشكلي (النفاق)، مؤكدة أن الإيمان الحق لا بد أن يتجلى في سلوك أخلاقي قويم يخدم الإنسان ويُرضي الله.

أولاً: النتائج

أ. نتائج عامة مشتركة:

1. رفض الفصل التام :تتفق الأديان الثلاثة على استحالة وجود إيمان "قلبي" صادق دون انعكاس "سلوكي" ظاهري.
2. أخلاقية الألوهية :تشترك في تصور "الإله الأخلاقي" الذي يأمر بالعدل والرحمة، مما يجعل الأخلاق واجباً دينياً لا مجرد عرف اجتماعي.
3. عالمية القيم :تلتقي الأنظمة الثلاثة على فضائل كبرى مشتركة (كالصدق، الأمانة، حماية النفس) كحد أدنى للتعايش الإنساني.

ب. نتائج خاصة بكل ديانة:

1. في النموذج اليهودي:

- العلاقة تعاقدية؛ الالتزام الأخلاقي والطقسي هو شرط العضوية في "شعب الله."
- الأعمال هي المعيار الأساس للانتماء والهوية، أكثر من العقيدة النظرية المجردة.

2. في النموذج المسيحي:

- العلاقة سببية؛ الإيمان (السبب) يولد المحبة والأعمال الصالحة (النتيجة/الثمرة).
- الأعمال ليست "ثمن" الخلاص، بل هي الدليل الحتمي على نواله بالنعمة.

3. في النموذج الإسلامي:

- العلاقة تكاملية؛ الإيمان مُرَكَّب من قول وعمل، والأخلاق جزء من تعريفه.
- التوازن دقيق بين "النية" (الباطن) و"العمل" (الظاهر)، فلا يُقبل أحدهما دون الآخر.

التوصيات:

1. تفعيل القواسم المشتركة :صياغة "ميثاق أخلاقي موحد "يستند إلى القيم المتفق عليها في الأديان الثلاثة (كالصدق والعدالة)، ليكون أساساً للتعايش السلمي ومواجهة التعصب.
2. تطوير الخطاب التربوي :توجيه مناهج التعليم الديني للتركيز على "جوهر الأخلاق "كثمرة للإيمان، بدلاً من الاكتفاء بتدريس الأشكال الطقسية الجامدة.
3. ربط الدين بقضايا العصر :تشجيع الاجتهاد الديني لتقديم حلول أخلاقية للمستجدات الحديثة (مثل أخلاقيات البيئة والذكاء الاصطناعي) انطلاقاً من المبادئ الإيمانية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المقدسة

1. **القرآن الكريم**.
2. **الكتاب المقدس** (العهد القديم والعهد الجديد)

ثانياً: المصادر الإسلامية (الحديث والعقيدة)

3. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم .**كتاب الإيمان** .تحقيق د. محمد بلتاجي. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1975.
4. أحمد بن حنبل .**مسند الإمام أحمد بن حنبل** .بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001.
5. البخاري، محمد بن إسماعيل .**صحيح البخاري** .الرياض: دار السلام، 1999.
6. البيهقي، أبو بكر .**شعب الإيمان** .تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد. الرياض: مكتبة الرشد، 2003.
7. الترمذي، محمد بن عيسى .**سنن الترمذي** .تحقيق أحمد شاكر. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975.
8. الطحاوي، أبو جعفر .**متن العقيدة الطحاوية** .تحقيق عبد الله التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ.
9. مالك بن أنس .**الموطأ** .بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1985.

ثالثاً: المصادر اليهودية والأجنبية

10. *Babylonian Talmud*. Tractate Sanhedrin..
11. *Mishnah: Pirkei Avot*. Translated by H. Danby. Oxford: Oxford University Press, 1933.
12. Neusner, Jacob. *The Way of Torah: An Introduction to Judaism*. 7th ed. Belmont, CA: Wadsworth, 2003.